مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2572-0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد:06 العدد: 02 (2022) ص161/153

الظاهرة الأدبية في ميزان النقد السوسيولوجي – أنماط وتجارب

Literary phenomenon in the balance of sociological criticism: patterns and experiences

مبرك حسين*

جامعة محمد بوضياف المسيلة

hocine.mebrak@univ-msila.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 2022/01/21

تاريخ القبول: 2022/04/15

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الظاهرة الأدبية
- ✓ المنهج الاجتماعي

الملخص:

عرف منهج النقد السوسيولوجي للأدب تأخرا كبيرا مقارنة بغيره من المناهج النقدية السياقية الأخرى. ولعل سبب ذلك يعود إلى رفض بعض الباحثين والدارسين للتفسير الاجتماعي للأدب، معتقدين أن النص الأدبي ينبغي أن يكون مستقلا عن العلم، فضلا عن عجز المنهج الاجتماعي عن تفسير الظاهرة الأدبية ومقاربتها مقاربة جمالية أو فنية، بيد أن هذا المنهج استطاع أن يتجاوز كثيرا من الإشكالات المتعلقة بالمنهج وبالمنتج، أي المبدع، وكذلك النتاج أي الأثر، ويقدم إضافات للنقد عامة أسهمت في استجلاء خصائص الظاهرة الأدبية .

Article info

Received 21/01/2022

Accepted 15/04/2022

Keywords:
- ✓ *Literary phenomenon:*
- ✓ *social method*

Abstract :

The sociological criticism approach to literature has experienced a great deal of delay compared to other contextual criticism approaches. Perhaps the reason for this is due to the rejection of some researchers and scholars of the social interpretation of literature, believing that the literary text should be independent of science, as well as the inability of the social method to explain the literary phenomenon and approach it with an aesthetic or artistic approach. The method and the product

* المؤلف المرسل.

. 1-مقدمة:

تعددت المناهج النقدية والمدارس والنظريات الأدبية في العصر الحديث، بتعدد مشارب النقاد والدارسين للظاهرة الأدبية، وتبعا للخلفيات الفكرية والمرجعيات الفلسفية التي يستندون إليها، ويستلهمون منها نظرياتهم ورؤاهم ومواقفهم، ويرسمون من خلالها استراتيجيتهم في التعامل مع النصوص الأدبية، ومقاربتها وقراءتها وفق تصورات معينة ومنهج محدد.

وقد أدى هذا المناخ النقدي والأدبي إلى بروز تيارات واتجاهات نقدية متعددة، بعضها مناهج سياقية، وبعضها نسقية أو نصانية . ولعلّ هذه الاتجاهات- على كثرتها واختلافها- إنما كانت تستهدف دراسة الظواهر الاجتماعية والأدبية والفنية، ورصد خباياها، وتحليل مكوناتها، وتفسيرها في ضوء المعطيات الثقافية والاجتماعية والحياتية التي أنبتتها وأنتجتها. وتعود الجذور الأولى للنقد السوسيولوجي إلى تلك المحاولات التي ذهبت إلى الربط بين التحولات الاجتماعية وظهور فن الرواية.

2 - إرهاصات المنهج وموضوعاته: تعددت مسميات هذا المنهج كالنقد الواقعي، والنقد الإيديولوجي، والواقعية الجديدة، إلا أن هذا المنهج النقدي قد تبلور، من خلال صدور كتاب" الأدب للشعب "لسلامة موسى" ، حيث نادى بضرورة أن يكون الأدب في خدمة المجتمع " وأن تكون شؤون الشعب موضوعا لدراسته، وأن تكون له رسالة كما لو كان نبيا يرشد ويعين الأهداف، ولا يكذب فينافق ويخدع "1. لقد برز هذا المنهج كحركة نقدية موجهة للأدب في بداية القرن التاسع عشر في الوقت الذي سادت فيه النظريات الاشتراكية والرأسمالية على النظم الاقتصادية والاجتماعية في البلاد العربية. فبرزت فئة من النقاد تقول بأن الأدب ينبغي أن يكون في خدمة المجتمع، ويفقد النقد قيمته حين تقتصر وظيفته على مقاربة النص من الناحية الجمالية، لأن الأدب في نظر النقد الاجتماعي هو جزء من الحياة التي تنعكس عليها حركية المجتمع. ويرتكز هذا المنهج في قراءة النص الأدبي بوصفه ظاهرة اجتماعية، ومنه فإن الأديب لا يكتب لنفسه فحسب، ولكنه يكتب لمجتمعه، وهو ما يتماشى مع طرح الفلسفة الماركسية القائلة بأن المجتمع تحكمه بنية تحتية متمثلة في البنية الاقتصادية المادية، وبنية فوقية متمثلة في القيم الثقافية والفكرية، بالإضافة إلى النظم السياسية والاجتماعية، وهذه الأخيرة هي نتاج للبنية التحتية، ومن ثمّ يظل الخطاب الأدبي متأثرا ومتفاعلا ومتناغما مع البنية التحتية العميقة، إلا أن مهمة الأديب لا تقتصر على رصد الواقع وتتبع حيثياته ومعطياته كأنما هو مرآة عاكسة لهذا الواقع بمفارقاته وأحداثه بطريقة آلية، بل إن وظيفته تتجاوز ذلك إلى اختراق ما يفرزه الواقع، وما ينتج عنه من قيم ونظم ونظريات، ومحاولة استقراء الأدب ونظرياته ودراسة مفاهيمه وأنساقه وبنياته وسياقاته المختلفة، بل إن النقد السوسيولوجي للأدب هو بديل للنقد النفسي الذي يعنى بالجوانب الشعورية للإنسان بالاعتماد على النظريات التي وفرها علم النفس كالإحساس والانفعال واللاشعور على حساب عناصر أخرى كالمرسل والرسالة والمتلقي والمجتمع.

2-1 مقاييس المنهج وقضية الالتزام: وقد ارتبط المنهج الاجتماعي في النقد تاريخيا بقضية الالتزام الذي يعني وقوف الأديب أو الكاتب إلى جانب قضايا مجتمعه والتعبير عن آماله وآلامه ومشكلاته ومعالجة اختلالاته، وهو ما أشار إليه "محمود أمين العالم" بقوله: " ليس هناك أدب أو فن ملتزم وأدب وفن غير ملتزم، وليس هناك أدب أو فن هادف، وأدب أوفن غير هادف، فكل أدب وكل فن يتضمن رأيا وحكما وموقفا سواء أكان رمزيا أو رومانطيقيا، أو انطباعيا أو وحشيا أو مستقبليا أو سرياليا أو واقعيا...وسواء أراد الفنان أو لم يرد، سواء كان واعيا أو غير واع " 2

غير أن نظرية النقد الاجتماعي قد استوت واستقامت مع جهود" سلامة موسى" الذي أرسى دعائم وأسس هذا الاتجاه في مقاربة العمل الأدبي، وتهجم على الأدب العربي لخلوه من هذه النزعة الاجتماعية وجنوحه للفردية، وعاب على الأدباء العرب حرصهم وعنايتهم بأسلوب الكتابة، وعدم اهتمامهم بأسلوب الحياة"3 ،وراح يؤكد في طروحاته ونظرياته أنه يتوجب على الأدب العربي أن يتحرر من قبضة الأدب العربي القديم والانفتاح على الأدب الغربي، ومواكبته، ومن ثم تقع على الأدب مسؤولية " التنقيب عن معنى الحياة ودلالاتها، وهو البحث عن طبيعة الكون، وهو إقناع الإنسان بأن يكون إنسانيا، وهو ابتكار القيم الجديدة التي تأخذ مكان القيم القديمة، وتزيد الدنيا والبشر جمالا وسعادة، وطعاما للجائعين"4. ويتضح من خلال نظرية سلامة موسى في قراءة الظاهرة الأدبية، أنها تقوم على مقاييس متعددة منها المقياس الاجتماعي والمقياس الإنساني، والمقياس الأخلاقي ومقياس الالتزام، وما يسمى بأدب المواقف والأفكار، وكلها تصب في خانة واحدة ، وهي ضرورة تسخير الفن أو الأدب في خدمة القيم والأخلاق والمبادىء العامة،رغم أن النقد العربي القديم " قد أكد الفصل بين المعيار الأخلاقي والديني وبين المعيار الفني"5 .ومنه فإن رسالة الأديب لا تخلو في غاياتها من أبعاد تربوية وتثقيفية وتهذيبية وتعليمية في مذهب سلامة موسى النقدي. إنه " يربّي الضمائر ويوجّه الأخلاق، ويعزز الشرف والإنسانية" 6

2-2البعد الأخلاقي:

لعلّ البعد الأخلاقي الذي أقام عليه نظريته، هو الذي جعله يرفض شعر بعض الشعراء العرب المتهتكين الذين تمردوا على القيم والأخلاق، وأمعنوا في طلب اللذة والاستغراق في المتعة، وعدم احترام الأعراف الاجتماعية، مثلما فعل مع أبي نواس، يقول:" فهل يمكن أن نقول إن أشعار أبي نواس تخدم الصحة الاجتماعية؟ لا إنما هي تخدم المرض الاجتماعي وتحبب الفسق والفحش إلى الناس... وأدبه هو أدب العاهة الجنسية، أدب الفحش الذي يشمئز منه الرجل العالم النظيف" 7.

ومن ثم لا يمكن للمبدع أن يتحرر كل التحرر من القيم والمفاهيم والنظم الاجتماعية، من حيث يريد أو لا يريد باعتبار أن كل فن أو أدب ينطوي على مضامين وأفكار له بعد اجتماعي، لذلك فإنه مهما كان أمر الأديب وحظه من الحرية أو القيد الاستقلال أو الانتماء فإنه مرتبط بالبنية الاجتماعية وما يتخللها من سلوكات ومواقف وتجارب، ومن ثمّ فالرؤية السوسيو نقدية للظاهرة الأدبية تقوم أساسا على دراسة النص الأدبي بوصفه ظاهرة اجتماعية بالاعتماد على النظريات التي يوفرها علم الاجتماع، حيث يفسر ويحلل ويعلل الظواهر والقيم المتوارية داخل النص الأدبي انطلاقا من خلفيات سوسيولوجية لا من خلفيات فنية وجمالية، ومن ثمّ يصبح النص الأدبي بمثابة وثيقة تاريخية تؤرخ للحادثة وتفسرها من الناحية الاجتماعية، بل باتت مهمة النقد المعاصر تحديد مضمون الأدب الفكري والاجتماعي والسياسي والحضاري، بل إنه يفقد قيمته وأهميته حين لا يتوخى الموقف والالتزام في الأدب شعره ونثره. "وقد ثبت إخفاق كلّ النقود التي تتحرى طبيعة العمل الفني الخالصة، وتسعى إلى جعل هذا النقد جماليا صرفا .."8. فإذا كان الأديب أو الشاعر يمثله الشكل، فإن المضمون يعبر عن المجتمع، ومنه فإن المضمون هو انعكاس للعلاقة بين الأدب والمجتمع في نظر النقد السوسيولوجي المعاصر، فلا غرابة أن يكون مفهوم الأدب بأنه نقد للحياة وتفسير لها، بصرف النظر عن نوع القضايا الاجتماعية التي يعبر عنها الأدب، سواء كانت كلية كبيرة أو صغيرة يومية تتعلق بما يعايشه الناس باستمرار، وسواء أكانت سياسية أم أخلاقية الأول

3-ثنائية الشكل والمضمون:أن العبرة بالأثر الذي يخلفه الموضوع والمضمون في نفوس الناس، وهذا الأمر هو مناط التمايز والتفاضل بين عامة الناس وخاصتهم. ولنا في قصيدة " بطاقة هوية" للشاعر محمود درويش خير مثال على النص الشعري الملتزم الذي يعبر عن قضية حضارية إنسانية تحمل في طياتها أبعادا أخلاقية واجتماعية متجذرة في ضمير كل عربي مسلم يأبى الاحتلال والظلم والإرهاب والاستلاب، بطريقة فنية بديعة قوية ومؤثرة. يقول:9

سجّل- أنا عربي

ورقمُ بطاقتي خمسون ألفْ

وأطفالي ثمانية

وتاسعهم ... سيأتي بعد صيفْ

فهل تغضبْ.

لعل أول ما نلحظه هو التحام ذات الشاعر مع تجربته، وتعبيره عن موقفه ورؤيته بعمق وفنية، بعيدا عن المباشرة والتقريرية والرتابة والسطحية، والنبرة الخطابية، فالشاعر مرتبط بهويته وقضيته، بل نراه يوغل في تصوير معاناة شعبه، وتشخيص مأساته، والذود عن كرامته بأسلوب بديع، كما في قوله: " 10

سجل أنا عربي:

وأعمل مع رفاق الكدح في محجر

وأطفالي ثمانية

أسلّ لهم رغيف الخبز من الصخر

والأثواب والدفتر

ولا أتوسل الصدقات من بابك

ولا أصغر أمام بلاط أعتابك

فهل تغضب؟

ولعلّ الثورة والرفض والتحدي والمقاومة إنما هي قيم ومضامين اجتماعية، تمثل اتجاهات نقدية تستمد قوتها ووجودها وأهميتها من خلال تبنيها لمواقف وأفكار وقضايا لا تنفصل عن حياة الإنسان، ومن ثمذ فإن النتائج التي يستخلصها الناقد السوسيولوجي تختلف عن تلك القيم التي ينتهي إليها الناقد الأدبي، ذلك أن الناقد الأدبي يتعامل مع الظاهرة الأدبي بوصفها أثرا فنيا، في حين يتعامل معها الناقد الاجتماعي بوصفها أداة لرصد الظواهر الاجتماعية وتفسيرها، في ظل استثمار وتطويع نظريات علم الاجتماع في قراءة الأعمال الأدبية ومقاربتها،ومن ثم بات الشعراء على وعي كامل بتجاربهم، وإدراك لمواقفهم والتزامهم إدراكا واضحا، واختفت بالمقابل فكرة الانطواء على الذات، والهروب السلبي من الواقع ، وتبنى الأدباء فكرة الانفتاح على الواقع المعيش وتفكيك الأزمات التي تعصف بالمجتمع، والتفاعل مع تحولات العصر والمساهمة في حل الأزمات الإنسانية، وتغليب الضمير الجمعي ، وفي هذا السياق أشار" أحمد عبد المعطي حجازي "إلى الظاهر والحقائق التي فرضت سلطانها على حياة المجتمعات، وباتت تؤرقهم وتقلقهم، بقوله: " ما لبثت أن وضعت يدي على النموذج الذي ظهر في ديواني الأول" مدينة بلا قلب"، نموذج الغريب في المدينة، خاصة بعد أن توفي والدي، فأصبح إحساسي بالغربة قويا وإن لم يصل أبدا إلى حدّ القتامة، ذلك لأن حنيني

القديم لعالم واقعي أفضل عاد إلى الظهور...لقد أمدتني هذه العقيدة بالنموذج المقابل للغريب الضائع وهو نموذج الثوري المتيقن ".11.

4-أنماطه وضروبه: يظل الأدب من منظور النقد السوسيولوجي ميدانا للتلاقح والتفاعل الفكري والإيديولوجي داخل المجتمع، وما يتخلله من صراعات ومفارقات، وما يسوده من تجاذبات وتناقضات بين مختلف المذاهب والاتجاهات والتيارات الفكرية والفلسفية، وقد تفرع عن هذا النوع من النقد الاجتماعي عدة مناهج نقدية، لكل منهج منها مجاله وأدواته وإجراءاته، فظهر المنهج الوضعي الذي يعنى فيه بالأدب والظروف التي تحيط به، وبرز المنهج الاجتماعي الجدلي، وهو منهج يركز على صلة محتوى ومضامين الأعمال الأدبية بأشكال وصور الوعي السياسي والاجتماعي للمجتمع وفئاته، وفقا لنظرية الانعكاس التي ترى أن النتاج الأدبي إن هو إلا صورة للواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وقد ذهب " ميشال عاصي" في كتابه " دراسات منهجية في النقد" إلى تحليل نصوص قصصية وشعرية، وخلص إلى نتائج مؤداها أنه لايمكن الفصل بين مضامينها ومحتوياتها الفكرية والواقع الاجتماعي والتاريخي، واعتبارها ظاهرة اجتماعية أو كواقعة متولدة عن العلاقات الاجتماعية التي تخضع لتطوير جدلي .."12 ،

إلى جانب المنهج البنيوي التكويني الذي يرصد العلاقة بين الأعمال الأدبية والواقع الاجتماعي على مستوى التشاكل والتماثل والتناظر بين البنيات والأشكال الأدبية والبنيات الذهنية المشكلة للوعي الاجتماعي، ضمن رؤية نقدية تهتم بالبنية الداخلية والفنية للعمل الأدبي وأبعاده الاجتماعية والإيديولوجية .."13 وقد تبنى " محمد بنيس" هذا المنهج، حيث درس النص الشعري على مستوى بنيته السطحية وبنيته العميقة، فحلل البنية السطحية إلى عدة بنيات: بنية الزمان، وتتمثل في تجاوز القصيدة المغربية الحديثة رتابة الإيقاع الخليلي، وبنية المكان، حيث صار الاشتغال على فضاء الكتابة في الورقة، من حيث البياض البياض فيها والسواد، ومتتاليات النص في بنيته النحوية بقانونيها: الزمن النحوي، وقوانين ضمائر الشخص، والبنية الدلالية أي دلالة الجملة في القصيدة، وبلاغة الغموض من حيث مفهوم الانزياح الذي خرق القواعد البلاغية العربية القديمة مشكلا جمالية النص الإبداعي الحديث.." 14،

وقد اتخذ "محمد بنيس" من هذه البنيات مجالا لتفسير البنية الثقافية في بعدها التاريخي والاجتماعي، ينضاف إلى ذلك مايعرف بعلم الاجتماع التجريبي للأدب، وهو منهج يعنى بمجال تسويق العمل الأدبي، وعلاقته بوسائل الاتصال والنشر والتلقي، وكذا صلته بالمجتمع والجمهور والقارىء، ويسلط الضوء على نشأة الأديب وأصوله الاجتماعية ومظاهر البيئة التي عاش فيها، والمشارب الثقافية والخلفيات الاجتماعية التي تشربها وأثرت في نتاجه وتوجهه ومنهجه.

ومن رواد هذا المنهج الذي يهتم بسوسيولوجيا النص الأدبي "عمر فاخوري "صاحب مدرسة التحرر الفكري والإبداعي الذي يرى ".أن الأدب كسائر الفنون الجميلة ظاهرة اجتماعية أصلا ووظيفته اجتماعية فعلا.." 15، أما سلامة موسى فلا يعير اهتماما للجانب الجمالي والفني للنص الأدبي، ويؤكد على أن قيمته وأهميته تكمن في مدى صلته بالمجتمع وخدمته له، وذهب إلى أن التأنق في الأدب ومراعاة الجانب الشكلي في الأدب هو إساءة للأدب وتشويه لرسالته وتمييع لوظيفته، كما اعترض على أدب المناسبات والمدح،بوصفهما أداة لإذاعة الزيف والتكلف والتملق، وبث الرداءة، ومن ثم عاب على العقاد وطه حسين محاولتهما تسخير الأدب في خدمة الحاكم والملك فاروق" لذلك فإن الأدب العربي القديم جاء في أغلبه أدب نفاق ومجاملة،ومن ثم فلا

مناص للأدب من الإسهام في خدمة المجتمع وحل مشاكله ومعالجة اختلالاته ، لأن الأدب أولا وأخيرا هو في خدمة الحياة والإنسان والمجتمع." وليس نكتة بديعية أو بيتا رائعا، وإنما هو ارتقاء وتطور لتعميم الخير والشرف والإخاء والحب "16. وقد استثمر هذا المنهج " سعيد يقطين" من خلال كتابه" انفتاح النص الروائي، النص ، السياق" معتبرا أن دراسته هذه هي محاولة لاستثمار نظرية النص وسوسيولوجيا النص الأدبي"17.

فالأدب مؤسسة اجتماعية، فالأديب هو عضو في المجتمع، وعضو منغمس في وضع اجتماعي معين، يخاطب جمهورا وله علاقة بالمجتمع من خلال مؤسسات يؤدي بواسطتها وظيفة اجتماعية، وهناك سوسيولوجيا الأديب والمضمون الاجتماعي للعمل الأدبي، وأثر الأدب في المجتمع. وبات الأدب من منظور هذا المنهج أنساقا اجتماعية له قنواته وأدواته ووسائله وامتداداته متمثلة في الأدباء والقراء والناشرين والباحثين والنقاد..وكلها تتأثر وتتفاعل مع غيرها من مؤسسات المجتمع وتهتم بتطور الأدب وترقيته، يقول رينيه ويليك": " الأدب مؤسسة اجتماعية، أداته اللغة، وهي من خلق المجتمع، والوسائل الأدبية التقليدية...أضف إلى ذلك أن الأدب يمثل الحياة والحياة في أوسع مقاييسها حقيقة اجتماعية واقعة" 18. لذلك فإن النص الأدبي في ميزان النقد الاجتماعي يضطلع بوظائف متعددة من خلال خلق قيم قادرة على الإسهام في إحداث التغيير الاجتماعي، ومن ثم فالنقد السوسيولوجي يعمد إلى تبني النظريات الاجتماعية واستثمارها في تفسيره للنص الأدبي وتحليله، متخذا من هذه النظريات منطلقا معرفيا وسندا منهجيا في استقراء النص الأدبي.

5-المنهج بين التأسيس والتأصيل: ويعد الناقد" محمد مندور" من أعلام هذا الاتجاه النقدي، وهو الذي حمل شعار الأدب نقد للحياة، من خلال إعجابه بالأعمال الأدبية ذات الحمولات والمضامين الاجتماعية، لذلك لم يتردد أبدا في إبداء تقديره لرواية" زينب" لمحمد حسين هيكل، معتبرا إياه رائد الواقعية، كما أعجب ب" ليالي سطيح" لحافظ إبراهيم" بالنظر لأبعادها ومضامينها الاجتماعية، رغم أن محمد مندور لم يغفل الجانب الجمالي في الأدب، ويتضح منهجه الاجتماعي في النقد من خلال كتابه" في الميزان الجديد" حيث يقول:" الأدب معاناة مأساوية يصدر عن تجربة اجتماعية وجمالية" 19... نعم لقد حاول أصحاب هذا الاتجاه أن يدرسوا الظاهرة الأدبية من خلال مناهج اجتماعية، بالاعتماد على قيم اجتماعية لرصد مدى تأثر التجربة الأدبية بالظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ويعد عباس محمود العقاد من النقاد الذين حملوا لواء هذا الاتجاه في بدايات حياته الأدبية، من خلال كتابه" شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي"، فقد عمل على رصد وتشخيص تأثير البيئة في أشعار شعراء مصر، ويرى أن معرفة البيئة " ضرورية في كل شعر، في كل أمة، في كل جيل" 20 ..

وقد درس مجموعة من الشعراء، وسلط الضوء على ما أحاط بهم من ظروف وعوامل، وأبرز ذلك على تفكيرهم وإبداعهم الشعري ورؤيتهم الفنية، مركزا على الظروف السياسية والفكرية والاجتماعية، دون إغفاله القيم الفنية والجمالية والشعورية في الشعر، ومن نقاد هذا المنهج " أحمد الشايب الذي ذهب في معرض دراسته لشعر الشاعر" البهاء زهير" يقول عنه إنه:" صورة للشعب المصري في جده وهزله، وفي غزله ومعاتباته، وفي نجواه وشكاواه"21. ولعل استخدام الناقد المنهج الاجتماعي في دراسته لشعر الشاعر وبحثه عن أثر البيئة في معانيه وأخيلته وطريقته في التعبير والتصوير، هو الذي جعل الناقد يقر في نهاية المطاف بأن شعر البهاء زهير هو مرآة انعكست عنها كثير من طبائع المجتمع المصري وأخلاقه وعاداته، بل إن المعارك الأدبية والنقدية التي دارت رحاها بين نخبة من الأدباء والنقاد، من أمثال العقاد والمازني وأحمد أمين وطه حسين ومصطفى صادق الرافعي ولطفي السيد وسلامة موسى وأمين الخولي وتوفيق الحكيم هي مظهر من مظاهر الاهتمام بهذا اللون من النقد الاجتماعي، وهو ما يتجلى

في تعريف أحمد أمين" للأدب الاجتماعي الذي يعني" نظرة الأدباء إلى مجتمعهم الحاضر يشتقون منه رواياتهم وأقاصيصهم وشعرهم ومقالاتهم ويصوغون منه فنونهم الأدبية" ولابد أن يهتم ويعالج الشأن الاجتماعي، فموضوعه هو " فلاح بائس، وصانع مسكين، وزوجة تعسة، وفقر ومرض " 22،

ومنه فإن الفن عامة ينبغي أن يتجه إلى معالجة القضايا العامة ويسهم في بناء المجتمع ونهضته، بل ينبغي أن يحمل رسالة تربوية وقيما أخلاقية ومبادىء إصلاحية وتوعوية، والأدب العربي تخلى في معظمه عن هذه المهمة، وصار" كالثوب القصير للرجل الطويل أو كالثوب المرقع للرجل الغني، أو كالثوب البدوي للمرأة المتحضرة" المعارك الأدبية.. 23،ومن ثم فإن الأدب الحي يجب أن يكون لسان حال المجتمع، يواكب نبضه، ويجاري حركته، أما إذا انصرف إلى أغراض دون ذلك فهو أدب الرداءة " لايصلح أن يكون غذاء كافيا للجيل الحاضر سواء في ذلك الأدب القديم والأدب الحديث"24.،وفي السياق ذاته ذهب أمين الخولي إلى أن الأدب العربي قديمه وحديثه ذو منزع اجتماعي، بقوله:" إن أدبنا في عربيته وغربيته، وقدمه وحداثته، ثم في تململه وتقلقله ليس إلا صورة صادقة كل الصدق لحياتنا الاجتماعية" 25. ولعل اجتماعية الأدب عند أصحاب هذا الاتجاه لا تخرج عن كونه أدبا هادفا ملتزما بقضايا الإنسان وقيم الحياة، معبرا عن المبادىء والفضائل، وكل ما من شأنه أن يسهم في إشاعة الخير والحب والحق والجمال والعدل والحرية ، وهو ما أشار إليه أحمد أمين بقوله:" وخير كتاب أدبي ما إذا قرأته تلذذت من فنه ثم بعثك بفنه ومعانيه على أن تكون خيرا مما أنت بإثارة عاطفة الرحمة والشفقة عندك أو عاطفة الجمال في الذات والمعنى والطبيعة، أو بإفهامك طبائع الناس كما هي، او إعجابك بالخير وكرهك للشر، أو إضاءة أي جانب من جوانب الحياة، أو أي قانون من قوانين الإنسانية أو تهيج ضميرك ليحق الحق ويبطل الباطل، أو باستصراخك لنصرة العدل ومحاربة الظلم.."26.

إن أصحاب النظرية الاجتماعية يتخذون من الأدب أداة لتصحيح أخطاء المجتمع وتقويم عيوبه ومعالجة اختلالاته، لذلك عدّ الأديب عندهم" رسول أمته وهاديها إلى الخير وراسم أغراضها في الحياة... يجمع بين السمو الخلقي والسمو الفني، ثمّ يسخّر فنّه لخدمة مايصبو إليه قومُه " فيض الخاطر: أحمد أمين، ص69.وظل أحمد أمين يرافع في كتاباته لصالح الأدب الرسالي الهادف الملتزم بقضايا المجتمع المدافع عن مصالحه، الحامل في ثناياه أبعادا أخلاقية، ومن ثم فلاعجب أن أبدى إعجابه بكتاب وأدباء ذوي نزعات أخلاقية، أمثال: برناردشو" و" أناتول فرانس" و" تولستوي".

6-خاتمة:

إن العمل الأدبي في نظر النقد الاجتماعي يختلف اختلافا جوهريا عن الأ دبين التأثري الانطباعي والتقليدي، وهذا الاختلاف ليس على مستوى التعبير والوظيفة فحسب، بل على مستوى الموضوع الذي يعنى به هذا الأدب كذلك، ولعل مايميز هذا الأدب هو ارتباطه بواقع المجتمع وواقع الإنسانية، ومن ثمّ ينبغي للأديب أن يعي ويستوعب كل إفرازات الواقع ومعطياته وتفاعلاته، ويعبر عنها بصدق وعمق بعيدا عن الابتذال والإسفاف والسطحية، وهذا الواقع الاجتماعي هو المادة الخام التي يستوحيها الأديب في التعبير عن أحاسيسه ومواقفه، ووضع الإنسان و علاقته ببيئته وبالنظم والقوانين السياسية والأنماط السلوكية والاجتماعية، فيكون شاهدا على هذا الواقع بظروفه وآثاره وتحولاته وتناقضاته ومفارقاته، والإسهام في حل مشكلات الإنسان ومعالجة أزماته، وتقديم الحلول لاختلالاته، لأن كل شيء دون الإنسان، هو أزياء وأعراض تزول وتحول، والإنسان هو جزء من المجتمع، ومن ثم فالأديب ينبغي أن ينصب اهتمامه بالجوهر وهو الإنسان، وواقعه الاجتماعي والعاطفي والروحي،

وينفتح على حاضره وما يتأجج فيه من صراعات ومشكلات، والالتفات إلى ماضيه، والإفادة مما فيه من دروس وعبر وقيم حضارية، إنه أدب يقوم على رصد الواقع والتعبير عن معطياته وتحولاته لا على الخيال وصوره، أدب يستقي مادته وموضوعاته من حياة عامة الشعب.

والملاحظ أن هذا النوع من النقد بات يتسع ويتمدد في العصر الحديث، مستفيدا مما وفرته العلوم والمعارف الإنسانية من نظريات ومقولات نقدية واجتماعية، ينطلق منها الإبداع الأدبي بمختلف ألوانه للتعبير عن بنية تحتية أو بيئة اجتماعية، ومنه فإن الأديب ينتج مايحس به وما يراه وما يعيشه في واقعه، وظلت هذه الرؤية تتسع وتتعمق حتى صارت اتجاها راسخا ومذهبا لكثير من النقاد، الذين لم يعد يعنيهم من النص الأدبي صياغته بقدر مايعنيهم مدى تفاعله مع المجتمع وموقعه من الحياة.

الهوامش:

1-سلامة موسى، الأدب الانجليزي الحديث، المطبعة المصرية، ط2،مصر، 1948،ص3.

2-محمود أمين العالم، الثقافة والثورة، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1،1970،ص54 .

3-انظر سلامة موسى: الأدب الانجليزي الحديث،ط3،المطبعة المصرية، مصر، 1948،ص8.

4-سلامة موسى :الأدب للشعب،مؤسسة الخانجي، مصر،1961، ص5.

5-رجاء عيد: فلسفة الالتزام في النقد في النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1975، ص106.

6-الأدب للشعب، سلامة موسى، ص91.

7-المرجع نفسه، ص86-87.

8-إبراهيم الحاوي: حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1984، بيروت، ص 160.

9–المرجع نفسه:ص165 .

10- المرجع نفسه:ص 166.

11-إبراهيم الحاوي حركة النقد الحديث والمعاصر، ص168-169.

12-ميشال عاصي :دراسات منهجية في النقد، مكتبة الحياة، بيروت، ط1،1970، ص42.

13-عبد السلام بن عبد العالي: سوسيولوجيا الأدب عند لوسيان غولدمان، المغرب، المركز الثقافي العربي، 1977، ص21.

14-محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر بالمغرب،دار العودة بيروت،ط1، 1979،ص 26.

15-إبراهيم الحاوي: حركة النقد الحديث والمعاصر،ص116.

16-المرجع نفسه، ص117.

17-عبد العزيز جسوس: إشكالية الخطاب العلمي في النقد العربي المعاصر ، المطبعة الوراقة الوطنية مراكش،ط1،2007، ص.141.

18-في نظرية الأدب: شكري عزيز الماضي،ط1،1986،لبنان دار الحداثة، ص 167.

19-إبراهيم الحاوي، حركة النقد الحديث والمعاصر، ص 119.

20-عباس محمود العقاد: شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي،ط3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965، ص3.

21-العربي حسن درويش: النقد الأدبي بين القدامى والمحدثين، مقاييسه واتجاهاته وقضاياه مكتبة النهضة المصرية،1988 ص 247.

22-المرجع نفسه، ص170.

23-فيض الخاطر: احمد أمين مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1961، ص65-66.

24-أنور المعداوي، مكتبة الرسالة القاهرة ، دت، ص307.

25-المرجع نفسه، ص 170.

26-فيض الخاطر أحمد أمين ص 71.

قائمة المراجع:

1-موسى ،سلامة، (1948)، الأدب الانجليزي الحديث، مصر، المطبعة المصرية.
2- أمين العالم، محمود،(1970)، الثقافة والثورة، بيروت، لبنان، دار الآداب.
3- موسى، سلامة،(1948)، الأدب الانجليزي الحديث، مصر، المطبعة المصرية.
4- موسى، سلامة،(1961ا)،الأدب للشعب، مصر، مؤسسة الخانجي.
5- عيد، رجاء،(1975)،فلسفة الالتزام في النقد الأدبي الحديث، القاهرة، مصر، دار الثقافة للطباعة والنشر.
6- موسى، سلامة،(1961)، الأدب للشعب، مصر، مؤسسة الخانجي.
7- الحاوي، إبراهيم،(1984)، حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة.
8- عاصي، ميشال،(1970)، دراسات منهجية في النقد، بيروت، لبنان، مكتبة الحياة.
9- بن عبد العالي، عبد السلام،(1977)، سوسيولوجيا الأدب عند لوسيان غولدمان، المغرب،المركز الثقافي العربي.
10- بنيس، محمد،(1979)، ظاهرة الشعر المعاصر بالمغرب، بيروت، لبنان، دار العودة.
11- الحاوي، إبراهيم،(1984)، حركة النقد الحديث والمعاصرفي الشعر العربي، بيروت، لبنان، دار العودة.
12- جسوس، عبد العزيز،(2007)، إشكالية الخطاب العلمي في النقد العربي المعاصر، مراكش، الرباط، المطبعة الوطنية الوراقة.
13- عزيز الماضي، شكري،(1986)، في نظرية الأدب، لبنان، دار الحداثة.
14- الحاوي، إبراهيم،(1984)، حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي، بيروت، لبنان، دار العودة.
15- العقاد، عباس محمود،(1950)،شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، القاهرة، مصر، مكتبة النهضة المصرية.
16- حسن درويش، العربي،(1988)، النقد الأدبي بين القدامى والمحدثين مقاييسه واتجاهاته وقضاياه، مصر، مكتبة النهضة المصرية.
17- أمين، أحمد،(1961)، فيض الخاطر، القاهرة، مصر، مكتبة النهضة المصرية.
18- المعداوي، أنور،(د ت)، المعارك الأدبية، القاهرة، مصر، مطبعة الرسالة.
19- أمين، أحمد،(1961)، فيض الخاطر، القاهرة، مصر، مكتبة النهضة المصرية